خرافة حركي

لفضيلة الشيخ
عبد المالك بن أحمد بن المبارك رمضاني الجزائري





الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع: ٢٠٠٤/٢٣٥١م



٢١ شارع مكة - تقسيم مكة - صعب صالح - منشية التحرير - جسر السويس - القاهرة

٦ شارع عزيز فانوس - منشية التحرير - جسر السويس - القاهرة - جمهورية مصر العربية

هاتف: ٢٤١٤٢٤٨ محمول: ٠١٠٦٠١٤٩٧٨

E-Mail:Dar_Alemam_Ahmad@hotmail.Com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يَهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحمَّدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فهذه كتابةٌ أردُّ فيها على دكتور مُسلم زعم أنه اطلع على بعض كتب أهل الكتاب، فنتج له منها علمٌ بالزمن "التقريبي!!" الذي تسقط فيه دولة اليهود، لا أكتبه دفاعًا عن اليهود أو شاكًّا فِي سقوط كيانهم، ولكنني أكتبه دفاعًا عن التوحيد؛ إذ ما من مسلم سني -عالم كان أو غير عالم- إلا وهو يعلم أن الغيب لا يعلمه إلا الله، بل إن عجائز أهل السنة لو لقوا الدكتور للقنوه درسًا فِي ذلك.

أما اليهود، فلابدَّ أن يظهر عليهم المسلمون -إن شاء الله-؛ فإنَّ الله قد قال: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [الصف:٨].

وروى مسلم (٢٩٢٢) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حَتَّى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حَتَّى يختبئ اليهوديُّ من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يَهوديٌّ خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود**».

إلا أن انتصار الحقِّ على الباطل لا يكون بأحلام الدكتور وأمانِّيه؛ لأن الله شرط لذلك أن ينصره أولياؤه، فقال: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ**

أَقْدَامَكُمْ﴾ [مُحمَّد:٧]. ونصره سبحانه يكون بتقواه؛ لأن أهل التقوى هم أهل معيَّة الله الخاصة، فقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨] وهم أهل العاقبة المحمودة، قال الله ﷻ: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨]. وتحصيل التقوى معناه تحقيق الإخلاص لله وحده، وتجريد المتابعة لرسوله ﷺ؛ كما تضافرت بذلك الأدلة، وقد سردت جملة منها في كتابي "**السبيل إلَى العزِّ والتمكين**".

ومن الغريب أن المنهج الحركيَّ لا يعير اهتمامًا لموضوع إخلاص الدِّين لله، بل ينقضه بسلوك مسالك المتكلِّمين من أشاعرة ومعتزلة وجهمية وغيرهم، بل إن أكثرهُم لا يَجدون غضاضة في أن ينتمي الروافض إلَى حركتهم! كما ينقضون موضوع الاتِّباع بالتعصُّب المذهبي الذي لا يزال يفتكُ بالأمة ويفرق جمعها!

ولَمْ يكتفوا بهذا، بل تعدَّاه إلَى مُضايقة العلماء الذين يجتهدونَ في رفع مستوى الأمة على هاتين الركيزتين:

إخلاص الدين لله: أي: تعليم العقيدة السلفية.

والاتباع: أي: تعليم السنة.

ومن وجدوه على هذا الثغر العظيم رموه بالاهتمام بالجزئيات عن الكليات، وبالقشور عن مصير الأمة -زعموا-، مع أن المرابطة عند الثغر هو أعظم الأسباب الَّتِي تتخذ لاستجلاب النصر؛ لأن الله ﷻ قد أخبر بذلك فقال: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤]. فوصف سبحانه أهل حسبه وحفظه بالإيمان والاتِّباع، فتأمَّل!

ولذلك لا ينقطع عجبُكَ حين تراهم يُثرثرون بالدِّفاع عن الأمة الإسلامية المسلوبة، والأراضي المسلمة المنهوبة، ويبكون على الأطلال المنكوبة، مع أنَّك لا تستطيع أن تحلُب منهم -أي: الحركيِّين- عشرةَ عُلماء قد حقَّقوا تلك العدة:

العقيدة السليمة والمتابعة المطلوبة، قبل العدة المادية المرهوبة، وإنَّا لله!

فكيف يعد بالنصر من لَمْ يعدَّ تلك العدَّة ولا فكَّر فِي إعدادها على النحو السابق، ولا ترك غيره يقوم بِها؟! والأمرُ لله!

لقد وكل إليهم الإعداد الدينيُّ فِي كثير من البلاد من أمد، فما ازدادت البدع إلاَّ اشتهارًا، ولا المعاصي إلا انتشارًا، فإذا دُهيت الأمة بداهية قامُوا يَنُوحون عليها، فإذا شعروا بالعجز وخافُوا أن يفْطن لَهم، رموا غيرهم بدائهم وانسلُّوا، وقضت عادتُهم أن يلقُوا باللوم كلّه على الأمراء، ثُمَّ يرجعون بسُمِّهم على العلماء، وأكبر غيظهم مصبوب على علماء الطائفة المنصورة، فينهشون لُحومهم من غير أن يخافوا الله فيهم، ويزعُمون أنَّهم لَمْ ينْزلوا إلَى الميدان، وأنَّهم لَمْ يُشاركوا الأمة أتراحَها، إلَى غير ذلك من التُّهم الفاجرة، فإذا لَمْ يفهموا مسالك العلماء فِي معالجة الفتن رموهم بالجهل بالواقع، بل ربَّما رموهم بالعلمنة وخدمة الاستعمار!!

والحقيقة: أنه ليس فِي الأمر سوى أن فتاوَى أهل العلم غير رائقة لأهوائهم الحركية ونزواتِهم الثورية، فيجتمع فيهم الظُّلم والجهلُ، قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً**﴾ [الأحزاب:٧٢].

وأغرب من ذلك كله أن بعضهم تجاوزَ فقه الواقع إلَى فقه ما لَمْ يقع، كهذا الدكتور الذي شغف بالتطلعات المستقبلية والتوقعات الغيبية الَّتِي ما كنا نسمعها إلاَّ من المحلِّلين السياسين الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، والذين لديهم من الغرور ما يدفعهم إلَى الهجُوم على الغيب لتحليله، دون أن يردَّهم عن ذلك رادعُ إيْمان أو خوف عدوان على أسْماء الله وصفاته، والَّتِي منها: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**﴾ [الرعد:٩].

هذا مفهوم فِي حق هذا الصنف من الناس؛ لأنَّهم غيرُ مسلمين، لكن ما

هو المسوغُ الشرعيُّ الذي يُخوِّلُ لأهل الإسلام فتش الغيب، حتَّى زادت التكاليف الآن؛ بحيث كنَّا نعاني من الذين يزاحمون العلوم الشرعية بما سمَّوه: "فقه الواقع"، فشغلوا الشباب خاصة به، حتَّى عزف كثير منهم عن التفقه فِي الدِّين، وثقلت عليهم مؤنته، واستحلت أنفسهم مطاردة الجرائد والمجلاَّت والإذاعات، ثُمَّ إذا بنا نجدُ علمًا آخر يبرُزُ بالسَّاحة، ألا وهو علم التوقُّعات، وهو الرجْم بالغيب عينه، ولكن كلٌّ من هوى شيئًا من المنكرات سمَّاه بغير اسمه، فازدادت الحيرةُ وقوي العجب؛ لأنه عبارةٌ عن بحوث جديدة جاءت تزاحمُ علوم الشريعة أيضًا، فكانت الضرائرُ اثنتين بعد أن كانت واحدة، واشتغل أصحابُ "الوعي الإسلاميِّ !" بُمتابعة الأخبار لا ليُفتُوا الناس على غرار الواقع الذي لديهم فحسب، بل تَجاوزُوه إلَى تقديْم توقُّعات مستقبلية للحادثة، حتَّى إنِّي قرأت فتوى لرجلين عن قضية هجوم أمريكا على العراق، امتنع فيها كلٌّ من الرجلين عن تقديْم فتوى واضحة؛ واعتذرا بأنَّهما لَمْ تَجتمع لكل منهما التوقعات الكافية عما سيحصل بعد الهجوم، والله المستعان!!

لقد حقَّ فِي أصحاب هذا التوجُّه قول النَّبي ﷺ الذي أخرجه مسلم (٥٠): «ما من نبي بعثه الله فِي أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريُّون وأصحابٌ يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، **ثُمَّ إنَّها تَخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون**». الحديث، والشاهدُ منه هو فِي الجُمل الأخيرة الَّتي أبرزتُها؛ لأنَّها تدلُّ دلالة بيِّنة على ذمٍّ من يشغل نفسه وغيره بما لا ينبغي، كهؤلاء الذين شغلوا الناس بالحديث السياسيِّ الفارغ من عمل، ثُمَّ بالتوقعات السياسية الَّتي لا يعلمها إلاَّ الله ﷻ ، بدلاً من تعليمهم ما يُصلحُ دينهم ودُنياهم الذي به يعملُ العاملون، وبالعلم والعمل يحصل للأمة التقوى الَّتي بِها وعد الله النصر.

إن الأمة قد بلغت من الجهل مبلغًا لا يُنكرهُ أحدٌ، ثُمَّ ازداد بعد اختراع "فقه الواقع" وفرضه على الأعيان كما هو لسان حال القوم، بل عمَّ الجهل حتَّى شَمِل أصحاب "الوعي الإسلامي!"، ودليلي على ما قلت هُنا أنه لما خرج الدكتورُ المُشار إليه بهذا التخرُّص وجدت من الناس من جعل يعصر له التأويلات فِي أرض جدباء، وينحتُ المخارج لكلامه كالرَّاقم فِي الماء، فقلت: إنَّها إذن لمصيبة إذا أضحى خرق الحُجُب الغيبية والعدوان على المسلّمات العقدية يحتاجُ إِلَى بيان وردٍّ، ولا يقعُ هذا إلاَّ حين تبردُ الغيرةُ العقدية، بل هو أكبر دليل على فُشوِّ الجهل فِي هذا الزمان؛ وإلاَّ فكيف ينطلي مثل هذا على من عنده مسكة علم بالتوحيد؟!

والحقيقةُ أنه لما بلغني خبرُ أن الدكتور قال ما قال لَمْ أُفكِّر أبدًا فِي كتب ردٍّ عليه وإن كانت المسألة تمسُّ التوحيد؛ لأن فساده لا يخفى على أحد، لكنَّنِي نشطتُ لذلك بعد أن رأيتُ من كاد يسلِّمُ للقضية بأنَّها محلُّ اجتهادٍ، هُنالكَ قلت: لا يصلحُ السُّكوتُ عن هذا الهُراء، والدِّفاعُ عن التوحيد من آكد الواجبات.

المهم، أن الأولى بالدكتور ومن هو على طريقته أن ينتبَّه لهذا، ويتقي الله ﷻ فِي هذه الأمة، ولا يبيع عقولها إِلَى خرافات العاجزين كالتِي سبق أن أشرتُ إليها، وأولى به أن يدلّ الأمة على هذا السبب الأكبر لحصول النصر على الأعداء، أعني التركيز على التوحيد الخالص لله ﷻ والمتابعة الصادقة لرسوله ﷺ.

❊ **ولابد أن أشير هنا إلى أمرين:**

الأول: أنِّي لَمْ أُبادر بالرد على الدكتور أول ما بلغني الخبر؛ لأنِّي كدت أجزم بتكذيبه لقوَّة الوارد، وما عزمت على هذه الكتابة إلاَّ بعد التحقُّق من ذلك؛ لأنِّي خشيتُ أن أظلم الرَّجل فأنسب إليه ما لَمْ يقل، والله يقول: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ**

آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨].

الثاني: أن كتابي هذا جاء ردًّا على ورقة واحدة فقط من كتاب الدُّكتور؛ لأنَّني ما كلفت نفسي أن أقرأ الكتاب كلَّه؛ بسبب أن صدري يضيق من مُطالعة الباطل، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

المدينة في : ٢ صفر ١٤٢٤هـ



بيان خطأ المخطئ ليس من الغيبة

الأصل أن أعراض المسلمين مصونة، وأن الكلام فيها بقدح بابٌ من أبواب الإثم والعدوان؛ لأنَّ الله يقول: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا**﴾ [الأحزاب:٥٨]. فإن كان الطعنُ على المسلمين بغير ما اكتسبوا فهو بُهتان، كما سبق في الآية، وإذا كان بما اكتسبوا فهو غيبة؛ والله ﷻ يقول: ﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الحجرات:١٢]. وهذا الفرق بيَّنه الرسول ﷺ أكمل بيان، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **ذكرك أخاك بما يكره**، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لَمْ يكن فيه فقد بَهتَّه**». رواه مسلم (٢٥٨٩)، وأبو داود (٣٨٧٤)، والترمذي (١٨٥٧).

وفي "صحيح مسلم" (٢٥٦٤) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا، ويشير إلَى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**».

وروى البخاري في "التاريخ الكبير" (٤/٣٣٦)، وابن أبي الدنيا في "كتاب الصمت" (٦٩٨) بالسند الصحيح عن أبي عاصم النَّبيل أنه قال: "ما اغتبت مسلمًا منذ علمت أن الله حرَّم الغيبة".

وقال ابن دقيق العيد -رحمه الله-: "أعراض المسلمين حُفرةٌ من حفر النار، وقف على شفيرها طائفتان من الناس: الْمُحدِّثون والحكام"، كما في "تدريب

الراوي" (٢/٣٦٩) للسيوطي، والمقصود من الحكام: القضاة؛ لأنهم القُضاةُ في أعراض الناس والمعزِّرُون لَهم.

وإنَّما النَّجاةُ من هذا الوعيد الذي ذكره ابن دقيق أن يكون النقدُ بعلم، فلا يتتبع قيل وقال؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء:٣٦]. وينبغي أن يكون مع علمه بوجه النقد عادلاً في حكمه؛ كي يخرج عن كونه ظلومًا جهولاً، قال ﷺ: ﴿إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦]. وقد استدل بهذه الآية مُحمَّد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية على من طعن على يزيد بن معاوية بأشياء لا تصحُّ، كما ذكر ذلك ابن كثير في "البداية والنهاية" (١١/٦٥٣)، كما استدلَّ بها عمر بن عبد العزيز فيما نحن بصدده، كما في "مُصنف ابن أبي شيبة" (٥/ ٤٤١)، وكذا الشافعي في "الأم" (٧/٩٠)، ولذلك استثنى العلماء من الغيبة المحرَّمة بعض أنواع الغيبة الجائزة، ومنها ما هو واجبٌ، ومن هذا بيان خطأ المخطئ على الشريعة؛ لأنَّ سلامة الدِّين أولى من سلامة عرض فرد، فقد روى الحاكم في "المدخل إلَى الصحيح" (١/١٦٠-١٦١)، وأبو نعيم في "المستخرج على صحيح مسلم" (١/٥٣)، والخطيب في "الكفاية" (ص٤٤) أن أبا بكر بن خلاد قال ليحيى بن سعيد: "أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خُصماءك عند الله تعالى؟ قال: لأن يكون هؤلاء خصمائي أحب إلي من أن يكون خَصمي رسول الله ﷺ، يقول: لَمْ حدَّثْت عنِّي حديثًا ترى أنه كذبٌ؟!".

وروى الخطيب في "تاريخ بغداد" (١٢/٣١٦) عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: "جاء أبو تراب النخشبي إلَى أبِي، قال: فجعل أبِي يقول: فلان ضعيف، فلان ثقة، فقال أبو تراب: يا شيخ! لا تَغْتب العلماء، فالتفت إليه أبِي، فقال له: ويْحك! هذه نصيحةٌ، ليس هذا غيبة".

وروى الخطيب في "الكفاية" (١/٤٥) عن سفيان بن عيينة يقول: "كان شعبة يقول: تعالوا حتَّى نغتاب في الله ﷻ".

وروى أيضًا أن بعض الصوفية قال لابن المبارك: "تغتاب؟! قال: اسكت! إذا لَمْ نُبيِّن كيف نعرف الحق من الباطل؟!".

وقد أجازوا تجريح من جرَّحوا صونًا للشريعة وحفظًا لَها؛ وذلك لأنَّ صون عرض مسلم ليس بأوْلى من صون الشريعة مِمَّا أُلحق بِها وليس في الحقيقة منها، قال الشيخ عبد الرحمن المعلِّمي -رحِمه الله- في مقدِّمته على كتاب "الجرح والتعديل"، لابن أبِي حاتم (١/ب): "وجُوِّزَ ذلك تورُّعًا وصونًا للشريعة لا طعنًا في الناس، وكما جاز الجرح في الشهود جاز في الرواة، والتثبتُ في أمر الدين أولى من التثبت في الحقوق والأموال، فلهذا افترضوا على أنفسهم الكلام في ذلك".

وقال الشافعي -رحِمه الله- في "الأم" (٦/٢٠٦): "وكذلك إن قال: "أنه لا يُبصر الفتيا ولا يعرفها"، فليس هذا بعداوة ولا غيبة، **إذا كان يقوله لمن يخاف أن يتبعه فيخطئ باتِّباعه**، وهذا من معاني الشهادات، وهو لو شهد عليه بأعظم من هذا لَمْ يكن هذا غيبة؛ إنَّما الغيبة أن يؤذيه بالأمر لا بشهادته لأحد يأخذ به منه حقًّا، في حدٍّ ولا قصاص ولا عقوبة ولا مال ... مثل ما وصفت من أن يكون جاهلاً بعيوبه فينصحه في أن لا يغترَّ به في دينه إذا أخذ عنه من دينه من لا يبصره، فهذا كلُّه من معاني الشهادات الَّتي لا تعدُّ غيبة".

وقال ابن تيمية -رحِمه الله- في "مجموع فتاواه" (٢٨/٢٢١-٢٢٢): "وإذا كان الرجل يترك الصلوات ويرتكب المنكرات، وقد عاشره من يخاف أن يفسد دينه بُيِّنَ أمره له؛ لتتَّقى معاشرتُه، وإذا كان مبتدعًا يدعو إلَى عقائد تُخالف الكتاب والسنة، أو يسلكُ طريقًا يُخالف الكتاب والسنة، ويُخاف أن يضل

الرجلُ الناس بذلك بيِّن أمره للناس؛ ليتَّقوا ضلاله ويعلموا حاله، وهذا كله يجبُ أن يكون على وجه النصح وابتغاء وجه الله تعالى، لا لهوى الشخص مع الإنسان، مثل أن يكون بينهما عداوةٌ دنيوية أو تحاسُدٌ أو تباغضٌ أو تنازعٌ على الرئاسة، فيتكلم بمساويه مظهرًا للنصح، وقصده في الباطن الغضُّ من الشخص واستيفاؤه منه، فهذا من عمل الشيطان: **«وإنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى»**. بل يكون الناصح قصده أن الله يصلح ذلك الشخص، وأن يكفي المسلمين ضرره في دينهم ودنياهم، ويسلك في هذا المقصود أيسر الطرق الَّتي تمكنه".

قلت: لعله يقصد بــ"أيسر الطرق" عدم الاسترسال في ذكر المعايب إذا تم الغرض من التحذير؛ حتَّى أُثر عن بعضهم في هذا الباب من علم الحديث أن الكلمة الأُولى لك، والثانية عليك، ولذلك جاء في كتاب "تهذيب الكمال" للمزِّي (١٩٧/١٤) عن رجاء بن أبي سلمة قال: "كان بين عُبادة بن نُسَي وبين رجل خُصومة، فأسمعه الرجل ما يكرهه، فلقيه رجاءُ بن حيوة، فقال: بلغني أنه كان منه إليك، قال له عبادة: لولا أن تكون غيبة لأخبرتُك بالذي قال لي".

قلت: -رحمه الله-؛ فمن يُطيق هذا الحلم وهذا الخلق الرفيع، لكنَّه دأب السلف، وهو الأصل؛ إذ نقل سيِّئات الناس نميمة، لاسيما إذا كان ينتجُ عنه تفريق كلمة أهل السنة، فهو أعظم وأعظم بما لا يوصف، وفي صحيح مسلم (٢٥٩٠) عن أبي هريرة عن النَّبي ﷺ قال: **«لا يستر عبدٌ عبدًا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»**. وهذا حديثٌ عظيم، ينبغي لكل مسلم أن يتذكَّره كلما جنحت نفسه للانتصار على خصم؛ كي لا يُجاوزَ ما حُدَّ له في باب التجريح على التفصيل السابق، وهذا الحديث ممَّا غفل عنه بعض طلبة العلم؛ حيث ظنُّوا أن الخيرية تكمنُ فيمن يكونُ أول من يفطنُ لغلط الغالط ويشيعه ويهتكُ ستر صاحبه، روى البخاري في "الأدب المفرد" (٣٢٤)، وابن أبي الدنيا في "الصمت" (٢٦٠)،

وحسَّنه الألباني فِي "صحيح الأدب" (٢٤٧) عن علي ﷺ قال: «القائل الكلمة الزُّور، والذي يمدُّ بحبلها فِي الإثم سواء». ومعنى "مدِّ حبلها": إشاعتها؛ فإن لفظه عند البخاري: **«القائل الفاحشة والذي يشيع بها فِي الإثم سواء»**.

بل إنه يُخشى على من يسارع فِي ذلك دون مراعاة لحرمة ذي سنة، ولا ناظر فِي عواقب دعوة أهل السنة، أن يكون ذلك كله تصنُّعًا لأهل السنة ليتشبه بأهل الجرح والتعديل منهم؛ فقد روى أبو داود (٤٨٨١) وغيره بسند صححه الألباني فِي "السلسلة الصحيحة" (٩٣٤) عن المستورد أن النَّبِي ﷺ قال: «من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها من جهنَّم، ومن كُسِيَ ثوبًا برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله من جنهم، **ومن قام برجل مقام سُمعة ورياء فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة»**. ولذلك كان أهل التجريح فِي ذبِّهم عن الشريعة من أشد الناس خوفًا من الله ﷻ فِي أعراض الخلق، فقد روى الخطيب فِي "تاريخ بغداد" (١٣/٢) أن البخاري -رحِمه الله- كان يقول: "إنِّي أرجو أن ألقَى الله ولا يحاسبنِي أنِّي اغتبت أحدًا".

قال الذهبي فِي "السير" (٤٣٩/١٢) تعليقًا على هذا الكلام: "قلت: صدق -رحِمه الله-؛ ومن نظر فِي كلامه فِي الجرح والتعديل علم ورعه فِي الكلام فِي الناس وإنصافه فيمن يضعِّفه ...".

وروى ابن بشران فِي "الأمالي" (٢٨٨) عن طاوس قال: "احذروا معبد الجهني؛ فإنه قدريٌّ، وكان طاوسٌ لا يتكلَّمُ إلاَّ بما ينبغي".

هكذا كانَ شانُ السلف، لا يُضيِّعون حقَّ الله فِي الذَّبِّ عن دينه، ولا يُسرفون فِي أعراض الناس، بل ربما أسقط السلفُ جرح بعض المجرِّحين إذا اشتهروا بالإسراف فِي ذلك، كما فِي "تهذيب الكمال" (١٦٨/٢٠) للمزِّي أن عليَّ بن المديني قال: "أبو نعيم وعفان صدوقان، لا أقبل كلامهما فِي الرجال؛

هؤلاء لا يدعون أحدًا إلاّ وقعوا فيه".

وقد قال الشيخ عبد الرحمن المعلّمي -رحمه الله- في مقدمته على كتاب "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (١/ج): "وقد كان من أكابر المحدِّثين وأجلّتهم من يتكلم في الرواة فلا يعولُ عهليه، ولا يلتفت إليه" ثُمَّ ذكر الأثر السابق، وقال عقبه بفطنة عجيبة واستنباط عزيز: "وأبو نعيم وعفان من الأجلة، والكلمة المذكورة تدلُّ على كثرة كلامهما في الرِّجال، ومع ذلك لا تكادُ تجدُ في كتب الفنِّ نقلُ شيء من كلامهما!".

قلت: أبو نعيم هو الفضل بن دكين، وعفان هو ابن مسلم -رحمهما الله-، ومكانتهما في هذا الشأن معلومة، فإذا كان هذا مع أجلة، فكيف مع من في دينه رهق وذلة؟!

كما أن أهل السنة لا يفرحون بالعثور على خطأ لأهل السنة، بل بلغ من سلامة صدورهم لَهم أن الواحد منهم ربَّما ناظر أخاه وهو يتمنَّى عود الخطأ على نفسه لا على أخيه، فقد روى ابن حبان في "صحيحه" (٥/٤٩٨) بإسناد صحيح عن الحسنن الزعفراني قال: سمعت الشافعي يقول: "ما ناظرت أحدًا قط فأحببت أن يُخطئ"، لكن لا يجوز أن يتصوَّر هذا في مناظرة أهل البدع.

روى ابن عساكر في "تبيين كذب المفتري" (ص٣٤٠) عن الحسن بن عبد العزيز الجروي قال: سمعت الشافعي يقول: "ما ناظرت أحدًا أحببت أن يخطئ، **إلا صاحب بدعة، فإنّي أحبُّ أن يتكشف أمره للناس**".

نقلت هذا الأثر؛ لأنّني وجدت أحد الرادِّين على مُحمَّد الغزالي في عدوانه على السنة، جعل كأنَّه يتندَّم على تتبع أخطائه، ويرى أن فرحه بعثوره عليها يتناف مع حبِّ السلامة للناس، ولعله استدل بكلام الشافعي هذا الأول فيما أذكُر، ومن هذا النقل يكون القارئُ قد تبيَّن له أن ذلك خاصٌّ بِمُناظرة أهل

السنة، أما المبتدع فإن انكشاف أمره نصرٌ للسنة، وانتصارٌ على البدعة وإنجاءٌ للناس من أن يدخلوا فيها، ثُمَّ إن قطع دابر المفسدين مطلبٌ شرعيٌّ، ولا يتم هذا إلا بعد كشف زيفهم؛ ألا ترى أن الله ﷻ حمد نفسه على ذلك فقال في سورة الأنعام: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٥].

قال **البغوي** -رحمه الله- في "تفسيره" كما في "مُختصره" (١/٢٥٣): "حَمد الله نفسه على أن قطع دابرهم؛ لأنه نعمةٌ على رسله، فذكر الحمد تعليمًا لَهم -يعني: الرسُل- ولِمَن آمن بِهم أن يَحمدوا الله على كفايته شرَّ الظالِمين، وليحمد مُحمَّد ﷺ وأصحابه ربَّهم إذا أهلك المكذِّبين".

إذن، من ذا الذي يحبُّ السنة بصدق، ثُمَّ لا يفرح بقطع دابر أهل البدع؟! ولذلك روى الخلال في "السنة" (١٨٦٩) بسند صحيح عن أبي بكر المروذي قال: "قيل لأبي عبد الله -يعني: أحمد بن حنبل-: الرجلُ يفرحُ بما ينْزل بأصحاب ابن دؤاد -يعني: المبتدع القائل بخلق القرآن-، عليه في ذلك إثمٌ؟

قال: ومن لا يفرح بِهذا؟!

قيل له: إن ابن المبارك قال: الذين ينتقم من الحجاج هو ينتقم للحجَّاج من الناس؟

قال: أي شيء يشبه هذا من الحجَّاج؟! هؤلاء أرادُوا تبديل الدِّين".



تعريف مختصر بـ" الحركيين "

الحركيُّون الإسلاميون هو قوم يعملون للإسلام فيما يظهر، ويرون أن الفقه فِي الدِّين غير كاف للقيام بذلك، حَتَّى ينتمي كلُّ فرد إِلَى تنظيم دعويٍّ، يؤمرُ فيه ويُنهى، ويسمعُ ويُطيع، والغالبُ أن ذلك يصحبه بيعة وعهدٌ ولو كان فِي دولة عليها سلطانٌ مسلم، ولِهذا نفهم سبب تسميتهم بالحركِّين؛ إذ سوء ظنِّهم بالفقه فِي الدِّين جعلهم يتصوَّرُون أنه لا يحرِّك، أي لا يحرِّكُ نحو الانقضاض على عُروش السلاطين، وأن الفقهاء أشبه بالدراويش ما لَمْ تنتظمهم الحركة؛ لأنَّهم يصبحون -فِي زعمهم- أدوات فِي أيدي حكَّامهم وهم لا يدرون.

وأما الحركة فإنَّها تُبصِّرهم بتخطيطات الحُكَّام وعيوب الأنظمة، وتفتِّح أعينهم على فقه هم فِي عماية عنه، ألا وهو "فقه الواقع"، هؤلاء هم الحركيون أينما اتَّجهت، فهم إذن يتحرَّكون باسم الإسلام لإسقاط عروش الأمراء والسلاطين الذين يرونَهم غير عادلين، فهم فِي ظواهرهم للإسلام يتحرَّكون، وفِي بواطنهم على السلطة يتحرَّقون؛ بدليل أنَّهم لا يُراعُون حدود الله فِي حركتهم هذه، وإذا تعارضت عواطفهم مع الضوابط الشرعية قدموا عواطفهم، ألا ترى أنَّهم يرفضون رفضًا باتًّا حُكم الله فِي تحريم الخروج على الوالي المسلم الجائر، ويُوهمون الناس أن ذلك إذلالٌ للشعوب!!، وقد تجدُ منهم من هو مستعدٌّ لقبول كلِّ شيء من عقيدة السلف إلاَّ هذه المسألة، فإن قلوبَهم تغلُّ عليها، مع أن النَّبِي ﷺ قد أخبر أن المؤمن قد طهر قلبه من هذا النوع من الغلِّ لولاة الأمر، فقال: **«ثلاثٌ لا يغلُّ عليهن قلبُ مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جَماعتهم؛ فإن الدعوة تُحيطُ من ورائهم»**. رواه الترمذي (٢٥٨٢) وغيره وهو صحيح، وأصله عند مسلم (١٧١٥).

قال ابن القيم فِي "مفتاح دار السعادة" (ص٧٩): "أي: لا يحملُ الغلَّ ولا يبقى فيه مع هذه الثلاث؛ فإنَّها تنفي الغلَّ والغش ومفسدات القلب وسخائمه، فالمخلص لله إخلاصه يمنعُ غلَّ قلبه ويخرجه ويزيله جملةً؛ لأنه قد انصرفت دواعي قلبه وإرادته إِلَى مرضاة ربِّه.

وقوله: «ولُزوم جَماعتهم»: هذا أيضًا ممَّا يُطهِّر القلب من الغل والغشِّ؛ فإن صاحبه للزومه جَماعة المسلمين يحبُّ ما يحبُّ لنفسه، ويكره لَهم ما يكره لَها، ويسوؤه ما يسوؤهم، ويسره ما يسرهم، وهذا بِخلاف من انحاز عنهم، اشتغل بالطعن عليهم والعيب والذم لَهم، كفعل الرافضة والخوارج والمعتزلة وغيرهم(١)؛ فإن قلوبَهم ممتلئةٌ غلاًّ وغشًّا، ولِهذا تَجد الرافضة أبعدَ الناس من الإخلاص، وأغشَّهم للأئمَّة والأمة، وأشدَّهم بعدًا عن جَماعة المسلمين".

ومن عرف دعوة الحركيِّين عرف غشَّهم لِهذه الثلاث:

فأما غشهم للتوحيد، فلأنَّهم من أبعد الناس عن الاعتناء به، حتَّى إنَّهم لينهون عنه إذا توهَّموا أنه سبب فِي تفريق الجماهير عنهم، بل إنك لتجدُ من رءوسهم من لا يفرِّق بين الشرك والتوحيد، كما ستراه فِي الفصل الذي بعد هذا.

وأما غشُّهم لولاة الأمور فهم أنشط الناس فِي العمل للانقضاض على سلطانِهم، بل ما قامت حركتُهم إلا لذلك.

وأما غشهم لجماعة المسلمين، فجميع الاضرابات الَّتِي تحصل لبلاد الإسلام هم وراءها، بل السِّمة الغالبة عليهم أنَّهم لا يُجمِّعون الجماهير إلا "لتوعيتهم!" ضدَّ السلطان، ولا يكادُون يتراجعون ولو رأوا الشعوب تتقلب ما بين سجن وقتل ونَهب؛ لأن من أصولِهم الَّتِي يغشون بِها الشعوب أنه لا بأس بل لابد من حرق جيل للتَّمكين لِمن بعده!!

---

(١) ذكر هذه الفرق الثلاثة؛ لأنَّها أوضح الفرق فِي انتحال الخروج على الأئمة.

هذه المسألة تغلُّ قلوبُهم عليها، وكذا ما تفرَّع عنها من مسائل الفقه والأحكام العملية الَّتِي تخدم هذا الهدف الحركيَّ، كالبيعة والعمل السياسيِّ والتحزُّب بشقيه الدعوي والبرلماني، والتمثيل والمسرح والأناشيد وغيرها ...

وتزهقُ روحُ الحركيِّ ولا يحرم هذه الَّتِي هي روح دعوته، لذا فإن مناقشته فيها تعدُّ من قبيل مناقشة عجائز المسلمين فِي أُصول الدِّين.

والحركيُّ سهلُ التميُّزِ بشاراته المعروفة، وذلك فِي أيِّ بلد وجد؛ فإنك تراه محترقًا فِي التكتيل، ولو على غير السبيل، شديد الاهتمام بواقع الحكومات، نَهمًا فِي مطاردة أخبارها، مولعًا بتصديق أيِّ خبر فِي مثالبها، حريصًا على بثِّها، سريعًا فِي تزكية من يقوم بِمواجهتها، غير عابئ بِمسائل التوحيد إلا ما كان من قبيل توحيد "الحاكمية!!"، والسنة عنده قشور، والفقه فِي الدِّين علمٌ أكل عليه دهور!!


*****



علاقة الحركة بالخرافة

لا ريب أن كثيرًا من الناس يستبعد أن يكون الحركيُّ خرافيًّا؛ لأن الحركيَّ أقربُ إلَى عالم الشهادة؛ إذ هو يُغالي فِي تعظيم الواقع والرُّكون إلا الحلول المادية، وأما الخرافي فإنه أقربُ إلَى عالم الغيب كما هو معلومٌ، لكن من نظر فِي واقع الحركة وجدها لا تكادُ تفارقُ الخرافة؛ وذلك أن أكثر أئمة الحركة خرافيُّون، فتجدُهم حركيِّين أشاعرة أو ماتريدية صوفية، ونحن لا ندينُ الحركيين من خلال صغارهم كما يفعلون مع مخالفيهم، ولكننا ندينهم بأقوال من لا يُشكُّ فِي إمامته عندهم، فاقرأ -أخي الغيور على جناب التوحيد!- بإنصاف ما يأتِي:

أ- إمامُ الحركة حسن البنا يعتقد أن النَّبِي ﷺ يحضرُ الموالد الصوفية وأنه عندها يسامح جميع الحاضرين:

ذكر جابر رزق فِي كتابه: "حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه" نقلاً عن مجلة الدعوة، بتاريخ: (فبراير ١٩٥١م)، وما أدراك ما مجلة الدعوة المصرية بالنسبة لــ"الإخوان المسلمين"، جاء فيها حديث عبد الرحمن البنَّا عن أخيه حسن البنا أنه إذا أهل ربيع الأول جعل يسير فِي موكب من أصحابه ينشدون أبياتًا بمناسبة المولد النبوي، وإذا عافاك الله من التعصب المقيت ورزقك الغضب الصادق فيه ﷺ، فتأمل ما فِي هذه الأبيات من بدع وشرك:

هــذا الحبيب مع الأحباب قد حضرا ... وسامحَ الكلَّ فِي ما قد مضى وجرى
لقــد أدار عــلى العُشّــاق خمــرتَه ... صــرفًا يكــادُ سناها يذهب البصرا
يــا ســعد كرِّرْ لنا ذكر الحبيب لقد ... بلبلــت أسماعــنا يــا مطرب الفقرا
وما لركب الْحــمى مالت معاطــفه ... لا شــك أن حبيب القوم قد حــضرا

قلت: إذا كان رسول الله ﷺ هو الذي يُسامحُ الكلَّ ويغفر، فهل يبقى

لقول الله ﷻ : ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥] معنىً؟!

هذا فِي الغلوٌ فِي مقام النبوة، والعدوان على مقام الربوبية، والشكوى إلَى الله.

٢- نائبه المرشد العام عمر التلمساني يدافع عن القبوريين:

قال فِي كتابه "شهيد المحراب عمر بن الخطاب" (ص٢٢٦): "فلا داعي إذن للتَّشدُّد فِي النكير على من يعتقد فِي كرامات الأولياء واللُّجُوء إليهم فِي قبورهم الطاهرة والدعاء فيها عند الشدائد، وكرامات الأولياء من أدلة مُعجزات الأنبياء!!".

هذا فِي الغلو فِي مقام الولاية، والعدوان على مقام الألوهية، نعوذ بالله من غضبه.

٣- إمام الحركة فِي سوريا فِي وقته سعيد حوى يشيد بفعل السحرة:

قال فِي كتابه: "تربيتُنا الروحية" (ص٢١٨-ط. الثانية): "وقد حدثني مرة نصرانيٌّ عن حادثة وقعت له شخصيًّا، وهي حادثة مشهورة معلومة، جَمعني الله بصاحبها بعد أن بلغتني الحادثةُ من غيره، وحدَّثني كيف أنه حضر حلقة ذكر، فضربه أحد الذاكرين بالشِّيش فِي ظهره حَتَّى خرج الشيش، وحَتَّى قبض عليه، ثُمَّ سحب الشيش منه، ولَمْ يكن لذلك أثر ولا ضررٌ، **إن هذا الشيء الذي يجري فِي طبقات أبناء الطريقة الرفاعية هو من أعظم فضل الله على هذه الأمة ...!!**

وإن من يرى فردًا من أفراد أمة مُحمَّد ﷺ يخرجُ السيفُ من ظهره بعد أن يضرب به فِي صدره، ثُمَّ يسحب ولا أثر ولا ضرر، هل يستغرب مثل هذا؟!!".

فلينظر أهلُ التوحيد إلَى هذا الصنف من الخرافيِّين؛ إنَّهم ليسوا من العامة، ولكنهم بوَّءوا منازل العلماء والدُّعاة المرموقين، ولقد أحسن الرد على سعيد حوَّى أخُونا الفاضل الشيخ سليم الهلالي فِي كتابه "مؤلفات سعيد حوَّى: دراسة

وتقويم" -جزاه الله خيرًا-، وأذكى ما اطَّلعت عليه فِي الردِّ على سعيد حوى كلمة للشيخ الفاضل الدكتور علي بن ناصر الفقيهي -عافاه الله وحفظه-، حيثُ قال فِي مقدمته على كتاب ابن منده "الردُّ على الجهمية" (ص١١): "إن بعض الدُّعاة المعاصرين يقولون: إن الجهمية وفرقًا أخرى كالمعتزلة وغيرها قد انقرضت، فلا حاجة إلَى البحث فيها، فنشر مثل هذه الكتب لا حاجة إليه؛ لأنَّها تبحث فِي أُمور لا يوجد من يعتنقها ويؤمن بِها، ثُمَّ يقولون مع ذلك: إن بحثها فيه تفريقٌ لكلمة الأمة، وهذا القول فِي حدِّ ذاته دليلٌ على أنه يوجد من يعتقدُ هذه الآراء، بل يدعو إليها، ونحن نستعيذُ بالله من الدعوة إلَى تفريق كلمة الأمة، والله يعلمُ أننا لا نريد إلا جمع كلمتها، ولكنَّنا نعلم أن رسول الهدى ﷺ مكث فِي مكة ثلاث عشر عامًا يبني عقيدة المسلم وينقِّيها من كلِّ شائبة؛ إذ إنَّها الركيزةُ الأولى الَّتِي يقومُ عليها البناءُ، فلم تُبْن عقائدُ أولئك على الخرافات الَّتِي يؤمن بِها ويدعو إليها الدُّعاة المعاصرون، من أن الذي يعطي البيعة للشيخ الرِّفاعي، بل أحيانًا بدون بيعة، وإنَّما إذا انتسب لهذه الطريقة لا تؤثر فيه النار ولا الرصاص ولا السيوف(١)!!

سبحان الله! وهل يجوز لِهذا الداعية المسلم ولأصحاب هذه الطريقة أن يتركوا القدس ثالث الحرمين الشريفين(٢) وفلسطين يحتلُّها اليهود، وليس عند اليهود إلاَّ النار والرصاص، وهما لا يؤثران فِي هذه الطائفة، ويتركون اليهود فِي القدس ولا يطهِّرونه من رجسهم؟! هذا منهج السلوك: خرافات الصوفية!".

لقد حرصت على أن أتحف القارئ بِهذا النقل؛ لأنه يدلُّ على ذكاء أهل السنة، كما يدل على أن البدعة لا تزيدُ أهلها إلا غباوة، والله العاصم.

---

(١) يردُّ الشيخ هنا على سعيد حوى؛ كما نبه عليه فِي حاشية الكتاب المسمى أعلاه.

(٢) هذا تقليبٌ أغلبيٌ أو بالمصاحبة، وإلاَّ فلم يثبت أن المسجد الأقصى حرمٌ، والله أعلم.

٤- المرشد العام بسوريا مصطفى السباعي يستغيث بغير الله:

قال عند الحُجرة النبوية أي: عند قبر النَّبي ﷺ كما في مجلة "حضارة الإسلام" العدد (٤، ٥، ٦)، بتاريخ: "جمادى الآخرة، رجب، شعبان ١٣٨٤هـ)، (ص٢٠٤) كما ذكر الشيخ الفاضل مُحمَّد هادي في تعليقه على كتاب الشيخ أحمد النجمي "المورد العذب الزُّلال" (ص١٤٩)، قال السباعي:

يا سائق الظعن نحو البيت والحرم ونحو طيبة تبغي سيِّد الأمم
إن كان سعيك للمختار نافلة فسعي مثلي فرضٌ عند ذي الهمم
يا سيدي يا حبيب الله جئت إلَى اعـ ـتاب بابك أشكو البرح من سقمي
يا سيدي قد تَمادى السقم في جسدي من شدَّة السقم لَمْ أغفل ولَمْ أنم

قلت: فانظر -يرحمُك الله- بِمن بُلينا، أيكون هؤلاء أئمة للمسلمين؟! أيسوغ في باب الولاء والبراء أن يَختلف فيهم أهلُ السنة ليصبحوا فريقين؟! مع أنه يصدُقُ أن يقال في أمثالهم: هذا المَيِّتُ لا يستحقُّ هذا العزاء!

ولو قام لَهم كيانٌ فأيُّ دولة خُرافة ستكون؟!

سيكون رؤساءها عُباد القبور، ووزراءها السحرة أصحابُ الشرور، ووفودها الرسميين دراويش الموالد، وعشاقُ الموائد، فمن أين يجيئُها النصرُ والفتوحات أم كيف يدفع عنها عدوان شرِّ البريَّات؟!

لقد مثلت بِهؤلاء الأربعة الذين لا يختلف في إمامتهم عند الحركيِّين؛ لتتأكَّد من صحة العقد المبرم بين الحركة والخرافة، ونَحنُ والمؤمنون شهودٌ على استمرار التناكح بينهما، ثُمَّ برز واحدٌ من أهل السنة ليلحق بِهم، لأنَّه غير مقتنع بِما تعلَّمه من أهل السنة، فدخل في الحركة، وما شعر إلا وقد تحرَّكت فيه الخرافة، فكتب كتابةً خرافية، كهذا الدكتور المردُود عليه في كتابِي هذا، ويبدُو أن العدوى سريعةٌ، وهذا نتيجة حتميةٌ على منهج لا يعبأ بِحقِّ الله الأعظم، الذي هو التوحيد، والله المستعان.

إن سبب تعليق هؤلاء الدُّعاة الناس بالخرافات هو ضعف الأدلة الَّتِي بأيديهم، فهم لابد أن يسترهبوهم بالخوارق لتأييد مذهبهم الحركيِّ، ولا أزالُ أذكرُ -كما يذكر معي القراءُ الجزائريُّون- أنه اجتمع يومًا حركيُّو الجبهة الإسلامية للإنقاذ بُمريديهم فِي ملعب من الملاعب الرياضية فِي الجزائر، فبينما هم فِي دعايتهم السياسية لحزبهم، إذ طلعت عليهم سحابةٌ كُتبَ فيها اسم الله، فانبهر الحضورُ وفُتنوا فتنة عظيمة، وأصبحت حديث الناس، ولَمْ يشكَّ الشَّكاكون فِي دين الله أنَّها علامة على النصر وصدق المسير.

وقال أعداؤهم: إنَّهم استعملوا أشعة ما وسحروا أعينُ الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم.

وقال غيرهم غير ذلك، واختلف الناس ما بين مصدق ومكذب وممخرق، ومهما كان من أمر فِي تفسير تلك الظاهرة، فإنَّنا نَجزم بأن الندامة تصحب مُخالف الرسول ﷺ لا الكرامة، ولَمْ أرتقب يومها من أحد أن يُبيِّن عوار ذلك مثلما كنت أرتقبُه من على بن حاج النائب على ذلك الحزب ولسانه الحقيقي؛ لأنه كان ينعت بـــ"السلفي!"، ولمعرفتي بأن حجة الله كانت قد قامت عليه فِي هذا الباب، باب التفريق بين الكرامة والتلبيس، ولوهمي بأن الرجل -وإن كان قد أدار ظهره للدعوة السلفية- لن يتحمل من جماعته هذه الخرافة، وأن فؤاده لن يهنأ ودين الله يكلم على مرأى ومسمع منه، وكن أرتقبُ من يوم لآخر إنصافه دين الله ﷻ وانتصاره للعقيدة الصحيحة، وتصفيته لصفوفه من هذا المعتقد الفاسد، لكن خاب ظنِّي فيه؛ إذ ترك الناس يَخوضون فِي باطل المعتقد؛ لأنَّهم كانوا على أبواب الانتخابات، وهكذا تجدون الحركيِّين أغشَّ الناس للناس فِي دينهم، بل الغالبُ على كلِّ من دخل فِي الحركات السياسية أن يخرج بلا دين، والله المستعان.

دفع إيراد: لا يردُ عليَّ أن ثمّ حركيِّين عاشُوا على مُحاربة الخرافات، كمثل مُحمَّد الغزالي، فإن الرجل كذلك كان يفعل، بل كان ينكّت بالخرافيِّين ويستهزئُ بهم، ولكن الحكم للغالب، والشاذُّ لا يُقاسُ عليه، لاسيما إذا كان ممن لَمْ يُمعن الانتماء إلَى الحركة، ثُمَّ إن أكبر ما يدفع هؤلاء إلَى رفض الخرافات هو إرضاءُ الحضارة، أو هو إرضاء عقولِهم الّتي تضنُّ ضنًّا شديدًا بباب الغيب، وترحِّبُ بالتفسير المادِّيِّ وتقدمه على كلّ شيء، وثُمَّ فرقٌ كبيرٌ جدًّا بين من يعتقدُ عقيدة سليمةً لوجه الله، ومن يعتقدُ ذلك لوجه الغرب المتحضِّر، قال الله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [الحديد:٢٦].



أسلفي وكشفي ؟!

من مسلّمات المعارف العقديّة والتاريخية أن الدعوة السلفية والدعوة الصوفية لا تَجتمعان؛ لأن السلفية تركز على إخلاص الدِّين لله وحده، والتصوُّف يركزُ على اتِّخاذ وسائط بين الخلق والخالق، والله تعالى يقول: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٧٩-٨٠]. والسلفية تركز على السنة، والتصوف لا يأبه بِمخالفتها وابتداع عبادات وأذكار ما أنزل الله بها من سلطان، والرسولُ ﷺ يقول: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**. رواه مسلم.

ومن مسلمات العقيدة السلفية أن الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه؛ لأن الله يقول: ﴿قُل لاَ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]. وأما عند المتصوِّفة فإنَّ الاطِّلاع على الغيب قد يكون من مستلهمات شيوخهم!!

وذلك للفوارق الجلية في المنهج المتبع عند الطائفتين؛ فإن أهل السنة يرجعون إلَى الكتاب والسُّنَّة على فهم السلف الصالح، وأما عند أهل التصوف فإنَّ مُكاشفة الغيب ليست من العيب، بل هي من مصادرهم الأساسية؛ بل قد ينسخون صريح الكتاب والسنة بما يقع في أنفسهم أو يرونه في مناماتهم، ولا ينتبهون إلَى أن ذلك لن يكون إلاَّ من وحي الشياطين؛ قال الله ﷻ : ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٣].

والنبأُ الغريبُ، والعجبُ العجيبُ أن يدَّعي رجلٌ الانتساب إلَى السَّلف

الصالح وهو يصفُ الغيب للناس من عند نفسه، وقد هالني جدًّا، بل غمَّني غمًّا شديدًا، أن أقرأ لهذا الرجل تحديدًا "تقريبيًّا!!" لموعد انتصار المسلمين على اليهود، تحت عنوان: "فسيقولون متى هو؟ قل عسى أن يكون قريبًا" جاء فيه ما يأتي:

"بقي السؤال الأخير والصعب: متى يحلُّ يوم الغضب؟ ومتى يدمر الله رجسة الخراب؟ ومتى تفتك قُيودُ القدس وتعود لَها حقوقها؟

إن الإجابة قد سبقت ضمنًا؛ فحين حدد دانيال المدة بين الكرب والفرج، وبين عهد الضيِّقة وعهد الطوبى كانت كما سبق (٤٥) سنة!!

وقد رأينا أن تحديده قيام دولة الرجس كان سنة (١٩٦٧م)، وهو ما قد وقع، وعليه فتكون النهاية أو بداية النهاية سنة (١٩٦٧ و٤٥)= (٢٠١٢م)، أي: سنة (١٣٨٧ و٤٥)= (١٤٣٣هـ)!!!

وهو ما نرجُو وقوعه ولا نجزمُ، إلاَّ إذا صدقه الواقع !!! لكن لو دخل معنا الأصوليُّون في رهان -كما دخلت قريش مع أبي بكر الصديق بشأن الروم- فسوف يخسرون قطعًا وبلا أدنى ريب وبدُون أن نلتزم بتحديد سنة معينة!!"، من موقع (السلفيون) على الانترنت، بعنوان: "يومُ الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب؟ قراءةٌ تفسيرية لنبوءات التوراة عن نِهاية دولة إسرائيل"!!

هذا الكاهنُ الذي تقرأُ له هذه المكاشفة النادرة كان رئيس قسم العقيدة!!

هذا الكاهن قلده مؤيِّدون من العوامِّ وسام: ابن تيمية الصغير!!!

إنه الدكتور سفر الحوالي!!

من كان يظنُّ أن يوجد فِي دولة التوحيد كاهنٌ من هذا الطراز النادر؟!

ثُمَّ يتخذُ له موقعًا على الانترنت تحت اسم: السلفيون!!

عجبٌ: سلفيٌّ حركيٌّ! كشفيٌّ "برَكيٌّ"!!

ومهما قيل: إن الدافع له على اختراع هذا الميقات لهلاك اليهود هو الغيرة على الدين فهو عذر غير مقبول؛ لأن أول غيرة صحيحة على الدِّين تكمن فِي الغيرة على التوحيد من أن يخدشه خادشٌ بالعُدوان على شيء منه، لاسيما ما كان من صفات الله الَّتي تفرد بِها سبحانه.

إنه الغلو فِي السياسة، الذي أنسى صاحبه عقيدته، بعد أن فقد عدَّته، وأضحى يخيلُ إليه من سحرها أن الغيوب إليه تسعى، والله يقول: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان:٣٤]. بل إنَّها الفرية العظيمة؛ ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «من زعم أنه يخبر بِما يكون فِي غد فقد أعظم على الله الفرية». والله يقول: ﴿قُل لاَ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [النمل:٦٥].

ثُمَّ إنه لمن العيب بِمكان أن يقع دكتورٌ متخصصٌ فِي العقيدة فِي هذه الورطة، وهو يسمع الله يقول: ﴿قُل لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨]. ثُمَّ مع هذا الوضوح فِي الانحراف يَجئ من يقول: ليس بيننا وبين القوم خلافٌ عقديٌّ!!

ومن الغريب أن ينسب الدكتورُ تحديد زمن النصر إِلَى النَّبِي دانيال، مع أنه معتمد فِي ذلك على كتاب محرَّف بإجماع الثقلين!.

يا دكتور! أتخريفٌ على تحريف؟!.

هكذا يريد سفرٌ من الناس: أن يعيشُوا فِي الأوهام والأمانيِّ، بعد أن استبطأ النصر من الله!!.

ثُمَّ لماذا سَمَّاه يوم الغضب؟! أليس انتصارُ المسلمين يكون يوم فرحتهم؟! قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم:٤-٥].

أما يوم الغضب فهو يومُ الدَّجَّال، كما روى مسلم (٢٩٣٢) عن نافع

قال: لقي ابن عمر ابن صائد في بعض طُرُق المدينة، فقال له قولاً أغضبه، فانتفخ حتَّى ملأ السِّكة، فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها، فقالت له: «رحمك الله! ما أردت من ابن صائد؟ أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: **إنَّما يخرجُ من غضبة يغضبها؟**». تريدُ الدَّجَّال، وقد كان منهم من يظن أنه ابن صائد.

ثُمَّ أليس ما أصاب المسلمين من فتن هو بسبب طغيان الغضب عليهم؟ وهل خرب بيوتَهم إلا ذلك؟.

فاسألوا القرية الَّتي كنَّا فيها والعير الَّتي أقبلنا فيها، وإنا لصادقون: هل دمَّرها إلاَّ الغضبُ وعدمُ التحكُّم في النفس، الذي أدَّى بهم إلَى الانحراف عن جهاد الرسول ﷺ؟.

إن بني جلدتنا -سواء كانوا في الجزائر أو في غيرها- لا يستجيبون لفقه الجهاد بقدر استجابتهم لاستفزاز عدوِّهم على ضعف فينا عن المواجهة، ولو كانوا مُجاهدين حقًّا لجاهدوا قبل ذلك عدوَّهم الذي بين جنبيهم، ألا وهو الغضب القائم على العاطفة العمياء، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس الشديد بالصرعة، إنَّما الشديدُ الذي يملك نفسه عند الغضب**». متفق عليه.

إذن فهذه هيَ الشدةُ الصادقة، إنه لا ينقصُنا غضبٌ، وإنَّما نشكو من ضعف فِي الدِّين والتقوى، ولو حصل لنا ذلك لتمَّ النصرُ؛ فقد قال ﷻ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**﴾ [النحل:١٢٨]. وقال: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء:١٠٥].

ثُمَّ استدل الدكتور بقصة رهان أبي بكر الصديق ﷺ، فما وجه الشبه بين رهان أبي بكر الصديق للمشركين وبين رهان على مكاشفة وخيال، وهو ﷺ قد أخذ ذلك من كتاب الله، حيث قال سبحانه: ﴿**الم ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ**﴾ [الروم:١-٤]. ولَمْ

يأخذه من كتب أهل الكتاب المحرَّفة كما فعل الدكتور، والَّتي نُهينا أن ننظُر فيها، كما فِي حديث جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطَّاب أتى النَّبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه النَّبي ﷺ فغضب، قال: «**أمُتهوِّكون فيها يا ابن الخطاب**[1]**؟! والذي نفسي بيده! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيُخبرُوكُم بِحقٍّ فتكذِّبوا به، أو بباطل فتصدِّقوا به، والذي نفسي بيده! لو أن موسى ﷺ كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتَّبعني**». رواه أحمد وغيره، وهو صحيح.

ويبدو أن عمر ﷺ استفاد من هذه النصيحة النبوية حَتَّى كان يضرب على يد من يخالفها، فقد روى عبد الرزاق (١١٤/٦)، وابن الضُّريس فِي "فضائل القرآن" (٨٨)، والخطيب فِي "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" (١٤٩٠) من طريق إبراهيم النخعي، ورواه أبو يعلى كما فِي تفسير ابن كثير (٤٦٨/٢) -وساق إسناده- والعقيلي فِي "الضعفاء" (٢١/٢)، والضياء فِي "المختارة" (٢١٥/١-٢١٦) من طريق خالد بن عرفطة: "أن عمر بلغه أن رجلاً كتب كتاب دانيال، قال: فكتب إليه يرتفع إليه، فلما قدم عليه، جعل عمر يضرب بطن كفِّه بيديه، ويقول: ﴿**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝١ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾ [يوسف:١-٣]. فقال عمر: أقصصٌ أحسن من كتاب الله تعالى؟! فقال: يا أمير المؤمنين! أعفني؛ فوالله! لأمحونَّه".

فكيف يأتِي دكتورٌ فِي "العقيدة!!"، ومن بلاد العقيدة حقيقة، فينظر فِي كتاب دانيال على ما ذكر، ثُمَّ يعطينا نهاية تقريبية لملك اليهود؟!

---

(١) روى أبو عبيد فِي "غريب الحديث" (٢٩/٣)، وعنه البيهقي فِي "الشعب" (١٧٨) عن ابن عون قال: "قلت للحسن: متهوِّكون؟ قال: متحيِّرون"، قال أبو عبيد: "يقول: أمتحيِّرون أنتم فِي الإسلام؛ لا تعرفون دينكم حَتَّى تأخذوه من اليهود والنصارى؟! قال أبو عبيد: فمعناه أنه كره أخذ العلم من أهل الكتاب".

قال الخطيب البغدادي -رحمه الله- في كتابه السابق: "ونظير ما ذكرناه آنفًا أحاديث الملاحم وما يكونُ من الحوادث، فإنَّ أكثرها موضوع وجُلّها مصنوع، كالكتاب المنسوب إلى دانيال والخطب المروية عن علي بن أبي طالب".

قال هذا بعدما أسند عن ابن أبي أويس قال: "سمعت خالي مالك بن أنس وسأله رجل عن زبور داود، فقال له مالك: ما أجهلك! ما أفرغك! أما لنا في نافع عن ابن عمر عن نبينا ما شغلنا بصحيحه عما بيننا وبين داود عليه السلام؟!".

وروى أيضًا (١٤٩١) عن عمرو بن ميمون قال: "كنا جُلوسًا في مسجد الكوفة، وذاك أول ما نُزِل(١)، فأقبل من نحو الجسر رجل معه كتابٌ قلنا: ما هذا؟ قال: هذا كتابٌ. قلنا: وما كتابٌ؟ قال: كتابُ دانيال، فلولا أن القوم تَحاجزوا لقتلوه، وقالوا: كتابٌ سوى القرآن؟! أكتابٌ سوى القرآن؟!".

أقول: هذا على افتراض أن الدكتور سفرًا أخذ هذا الاستنتاج صرفًا من كتب أولئك، أما واقعُ الأمر فهو أنه فهم فهمًا وضمَّ إليه (حسابات رياضية!!) وتخرُّصات وقف بساحلها النَّبي ﷺ، وخاض لُجّتها سفر الحوالي، ولَمْ ينتفع بالآية الَّتي صدَّر بها كلامه، ألا وهي قوله ﷻ: ﴿قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء:٥١].

إنه الظنُّ والتخرص الذي لا يعدم به الحقُّ، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم:٢٨].

ولذلك نقل الخطيب في "الجامع" (١٦٢/٢) بإسناده روايةً في هذا المعنى عن يحيى بن معين، قال ابنه زكريَّا في آخرها: "وهذه الأحاديث كلُّها الَّتي يحدِّثون بها في الفتن وفي الخلفاء، تكونُ كلها كذب وريح، لا يعلم هذا أحدٌ إلاَّ بوحي من السماء".

قال الخطيب في كتابه السابق: "فأما كتبُ الملاحم، فجميعُها بهذه الصفة،

---

(١) قال المعلق عليه: "أي أول ما افتتح المسجد للصلاة والوعظ وما أشبه ذلك".

وليس يصحُّ فِي ذكر الملاحم المرتقبة والفتن المنتظرة غيرُ أحاديث يسيرة اتَّصلت أسانيدها إلَى الرسول ﷺ من وجوه مرضية وطُرق واضحة جلية".

والحقيقة: أن الدكتور سفرًا مغرمٌ بالتشبُّه بمَن ينظر فِي النُّجوم من يوم كتابه "وعد كسينجر" الذي بنَى فيه على تخرُّصات سياسية أوهامًا من الغيب، لَمْ يتحقق شيء منها، وقد ردَّ عليه هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية فِي بيان رقم (٩٥١/٢)، بتاريخ (١٤١٤/٤/٣هـ)، وقد صوَّرتُه فِي كتابِي: "مدارك النظر فِي السياسية" (ص٤٩٠-ط. الرابعة"، وبعد أن كان يشغل الناس بـــ"فقه الواقع!" فِي حلقة جمع قصاصات الجرائد بجدة، انتقل بِهم اليوم إلَى فقه ما لَمْ يقع، والله يقول: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]!!

كانت هذه الكهانةُ على الرَّغم من حياطة الدكتور بعلماء التوحيد، فكيف لو خلقه الله فِي غير بلاد التوحيد؟!

لقد ذكرنِي هذا النوع من التكهُّن بتكهُّنات المختار الكذاب، فقد كان يخوض غمار المعارك ثُمَّ يصبح يُخبر الناس بأن النصر آت من جهة كذا وكذا.

روى ابن أبِي حاتم -كما فِي "تفسير ابن كثير" (١٥٨/٢)- بإسناده عن أبِي زميل، قال: "كنت قاعدًا عند ابن عباس، وحجَّ المختار بن أبِي عبيد، فجاءه رجلٌ، فقال: يا ابن عباس! زعم أبو إسحاق -أي: المختار- أنه أُوحي إليه الليلة، فقال ابن عباس: صدق! فنفرتُ، وقلت: يقول ابن عباس: صدق؟! فقال ابن عباس: هُما وحيان: وحيُ الله، ووحيُ الشيطان، فوحي الله إلَى مُحمَّد ﷺ، ووحي الشيطان إلَى أوليائه، ثُمَّ قرأ: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ [الأنعام:١٢١].

إن الدكتور يعلم أن ما أصاب المسلمين إنَّما هو بسبب ضعف توحيدهم، فكيف يعالج ذلك بِما يوهن توحيدهم ويُجرِّئهم على الغيب: ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]؟!

إنه جاء لينفِّس عن اليائسين من النصر، فوقع وأوقع غيره فِي النظر المحرم، ألا وهو النظر فِي الغيب، وشغَّب على العقيدة، ومن شغب على العقيدة كيف يطمعُ فِي النصر؟! فكان كمن غسل الرَّجيع بالنَّجيع!

لقد أقعده العجزُ عن مجاهدة اليهود، فقنع بالوعود، وجاء بتنفيس هو أشبه بتفليس!

كنت أظنُّ أن الدكتور قد استفاد من فترة توقيفه، فاستزاد من علم الشريعة، وتفرَّغ للتفقُّه فِي الدِّين، بيد أنه تحوَّل من النظر فِي كُتب الشريعة، إلَى النظر فِي النُّجوم، ومن النظر فِي الكتب المحفوظة: الكتاب والسنة المطهَّرة، إلَى النظر فِي الكتب المحرَّفة والسياسات القائمة على التكهُّنات، ولكن **«من يرد الله به خيرًا يفقهه فِي الدين»**!!

وأما قوله: "وهو ما نرجو وقوعه ولا نجزم!!"، فاحترازٌ باردٌ، إذ ما سمعت كاهنًا يخرق حُجُب الغيب بزعمه إلا وهو يحترزُ احتراز الدكتور، بل لا يعرف كاهنٌ أتى بخبر غيبيٍّ إلاَّ ستره كُفريَّته تلك بقوله: "بإذن الله"!!!

مع أن الدكتور قد رجَّح الجزم بذلك التحديد التاريخيِّ لهزيمة اليهود (٢٠١٢م)؛ بمراهَنَته لمن سمَّاهم "الأصوليِّين"، ولا يراهن الرجلُ إلاَّ عن توثق ويقين، كما هو شأن يقين أبِي بكر وثقته بوعد الله فِي كتابه الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنْزيلٌ من حكيم حميد.

فيكون حينئذ هذا الاحترازُ منسوخًا بدُخوله فِي الرِّهان، فهل انتفع الدكتور بعقيدته؟!

إن الدخول فِي الأخبار المستقبلية من غير الأنبياء دليلٌ على فساد الدِّين، ولذلك فلا يحلُّ لأحد أن يعقد قلبه على ما قاله الدكتورُ أبدًا، قال ابن تيمية كما فِي "مجموع الفتاوى" (٤/٨١-٨٢): "فلهذا تجدُ عامة من فِي دينه فسادٌ يدخلُ

فِي الأكاذيب الكونية، مثل أهل الاتِّحاد، فإن ابن عربي فِي كتاب "عنقاء مغرب" وغيره أخبر بِمُستقبلات كثيرة، عامَّتها كذبٌ، وكذلك ابن سبعين، وكذلك الذين استخرجوا مدة بقاء هذه الأمة من حساب الجُمَّل[١] من حروف المعجم الذي ورثوه من اليهود، ومن حركات الكواكب الذي ورثوه من الصابئة، كما فعل أبو نصر الكندي وغيره من الفلاسفة، وكما فعل بعضُ من تكلَّم فِي تفسير القرآن من أصحاب الرازي".

وقد ذكرنِي هذا بما نقله أبو العباس أحمد بن خالد الناصري فِي "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى" (٢/١٩٣-١٩٤) عن "الفتوحات المكية" لمحي الدين ابن عربي الملحد أنه قال: "ولقد كنت بمدينة فاس سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وعساكرُ الموحِّدين قد عبرت الأندلس لقتال العدوِّ حين استفحل أمره على الإسلام، فلقيت رجلاً من رجال الله، ولا أُزكِّي على الله أحدًا، وكان من أخصِّ أودائي، فسألنِي: ما تقول فِي هذا الجيش: هل يفتح له وينصر فِي هذه السنة أم لا؟

فقلت له: ما عندك فِي ذلك؟

فقال: إن الله تعالى قد ذكره فِي كتابه، ووعد نبيه ﷺ بهذا الفتح فِي هذه السنة، وبشر نبيه ﷺ بذلك فِي كتابه الذي أنزله عليه، وهو قوله: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾ [الفتح:١]. فموضع البشرى: ﴿**فَتْحًا مُّبِينًا**﴾. من غير تكرار الألف؛ فإنَّها لإطلاق الوقوف فِي تمام الآية، فانظر أعدادها بحسب الجمَّل، فنظرت فوجدتُ الفتح يكون فِي سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، ثُمَّ جزتُ إِلَى الأندلس

(١) يقال: الجُمَّل بالتشديد، وقد خفَّفه بعضُهم، كما فِي "لسان العرب"، مادة: جَمَل، وهو حسابٌ عن طريق حروف الهجاء، بحيثُ يجعلون الحرف يمثل عددًا معينًا كما هو في الفقرة الآتية.

وقد نصر الله جيش المسلمين، وفتح الله به قلعة رباح والاركو وكركرا وما انضاف إلَى هذه القلاع من الولايات.

هذا عاينْتُه من الفتح ممن هذه صفته، فأخذتُ للفاء ثمانين، وللتاء أربعمائة، وللحاء المهملة ثمانية، وللألف واحد، وللميم أربعين، وللباء اثنين، ولِلياء عشرة، وللنون خمسين، وأما الألف فقد أخذ عددها، وكان المجموع إحدى وتسعين وخمسمائة، وهي سنو الهجرة إلَى هذه السنة، فهذا من الفتح الإلهي لِهذا الشخص"!!

وأنا **أقول**: وذاك من الفتح الحركيِّ لذاك الشخص، والأمر لله!

أما الفتح الشرعيُّ فهو فِي اتِّباع الوحيين: الكتاب والسنة، فقد كان يسعُ الدكتور أن يُجيب سائله عن موعد النصر بجواب الله وجواب رسول الله ﷺ لِمن سأله ذلك، أما جواب الله، ففي قوله تعالى: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾** [البقرة:٢١٤]. فانظر هل ترى فيه من تحديد لزمن النصر، أو قريب من تحديد، مع أن الله يعلم ما فِي السموات وما فِي الأرض؟!

وأما جواب رسول الله ﷺ، ففي صحيح البخاري (٦٩٤٣) عن الخَبَّاب بن الأرت قال: «شكونا إلَى رسول الله ﷺ وهو متوسِّدٌ بردة فِي ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: **قد كان من قبلكم يؤخذُ الرجل فيُحفر له فِي الأرض فيُجعل فيها، فيُجاءُ بالمنشار فيوضعُ على رأسه، فيجعلُ نصفين، ويُمشطُ بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه، فما يصدُّه ذلك عن دينه، والله! ليتمَّنَّ هذا الأمر حتَّى يسير الراكب من صنعاء إلَى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**».

هذا هو الجواب الذي يوفّق الله له أهل ولايته، فانظر هل ترى فيه من تحديد لزمن النصر أو قريب من تحديد؟!، مع أن الله لو كان مُطْلِعًا عبدًا على بعض الغيب لكان رسول الله ﷺ؛ لأن الله يقول: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

وقد أطلع الله ﷻ نبيه ﷺ على بعض الغيب كما هو معلوم، مع ذلك فلم يطلعه على شيء من هذا الذي ظنَّ الدكتورُ سفرٌ أنه توصل إليه!!

لماذا لَمْ يسأل رسول الله ﷺ ربَّه أن يخبره عن موعد النصر، كما فعل الدكتور سفر مع النَّبِي دنيال، مع أن الصحابة ﷺ أحقُّ بالنصر من غيرهم بلا أدنى ريب؟

إن رسول الله ﷺ لَمْ يعلّق الناس بتاريخ النصر، ولكن علّقهم بسببه؛ لأنه يريد أن يقدِّم لَهم الحلَّ العمليَّ، لا الحلَّ الذي يُعلِّقهم بالتَّهاني، ويُثبِّطهم عن العمل ليتمنَّوا على الله الأماني؛ ولو علم الناسُ أنَّهم منتصرون على عدوِّهم فِي تاريخ ما -ولو كان تقريبيًّا!- لسمعت بعجائب الأخبار فِي تاريخ الخاملين والكُسالَى، ولذلك بشَّرهم -عليه الصلاة والسلام- بالنصر، لكن من غير تحديد ولا تقريب، وأرشدهم إلَى الصبر، وإلَى ضرورة حمل النفس على ما كان عليه الممثل بِهم ليقوى التأسِّي ويكمل السلوان.

قال ابن تيمية فِي كتابه "قاعدة فِي الانغماس فِي العدو" (ص٧٩) تعليقًا على هذا الحديث: "والنَّبِيُّ ﷺ إنَّما قال لَهم ذلك آمرًا لَهم بالصبر على أذى الكفَّار، وإن بلغوا بِهم إلَى حدِّ القتل صبرًا؛ كما قتلوا المؤمنين صبرًا، ومدحًا لمن يصبرُ على الإيْمان حتَّى يقتل".

ولست أشكُّ أن الدكتور يعرفُ الآيَةَ والحديث، لكنَّ العبرةَ تكمنُ فِي

توفيق الله لعبده للمتابعة الصادقة، وإلاّ كانت هذه المعرفة وبالاً على صاحبها؛ إذ يستكثر من حُجج الله عليه، والله المستعان.

وما أمر به النَّبي ﷺ هنا من الصبر، وما بشَّرَ به من النصر، قد جَمعه الله في غير ما سورة، من ذلك قوله ﷻ : ﴿فاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [غافر:٧٧].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في "تيسير الكريم الرحمن" (٤/ ١٥٦٠): "﴿فَإمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾: في الدُّنيا فذاك، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبل عقوبتهم". فكان التبشير غير محدَّد الأجل؛ كي لا يُركن إلَى مجرَّد الأمل، بل المرء مأمورٌ بأن يشغل نفسه بالتمسك بالحق من غير أن يشغل نفسه بالنتائج الَّتي هي من محض فعل الله ﷻ ، كما قال في موطن آخر يشبه هذا: ﴿فَإمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ (٤٢) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إلَيْكَ إنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف:٤١-٤٣].

وهذه فائدة أخرى، ألا وهي أن أمره تعالى بالاستمساك بالدين هو من باب قوله ﷺ لمن سأله عن الساعة: «**ما أعددت لَها؟**». رواه البخاري ومسلم، مع ضمانه ﷻ النصر لنبيه ﷺ، لكن من غير تحديد لموعده، فقد يراه كله في حياته، وقد يحصلُ بعد مماته، إذن فالبحث عن موعد النصر ينقضُ هذا التأصيل، وهو ما وقع فيه الدكتور سفرٌ؛ إذ أعرض عن هذه المعاني القرآنيَّة، وذهب يفتش عما لدى أهل الكتاب، فكانت المخالفة مضاعفة، والأمر لله.

ومنه قوله ﷻ : ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٤]. وفيه فائدة زائدة، ألا وهي أن التَّولِّي عنهم وعدم المسارعة في مواجهتهم إلَى حين القدرة والقوة، من معانِي الصَّبر المأمور به، بل هو من أعظم

ما يُعينُ على الصَّبر؛ لأنَّ الاندفاع علامةٌ على الضَّجر وتقديْم حظِّ النفس وضعف الاستجابة لله ﷻ ولرسول ﷺ، ومثله قوله ﷻ : ﴿وَإِنَّا عَلَى أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٥-٩٦]. والدفع بالتي هي أحسنُ هنا هو الصبرُ الذي يوفق له من جعله الله صاحب حظٍّ عظيم؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٤-٣٥]. وهذا هو الأمر الثاني الذي وقع في مُخالفته سفر الحوالي.

لقد أُخرجَ رسولُ الله ﷺ من بلده مكة، ثُمَّ أراه الله ﷻ في المنام أنه دخلها وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة من غير أن يحدِّد لهم وقتًا لفتح مكَّة، فلما ساروا عام الحديبية لَمْ يشكَّ جماعةٌ منهم أن الرؤيا تتفسرُ هذا العام، وذلك هو قول الله ﷻ : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:٢٧].

لكن الأمر كان خلاف ما تأولته تلك الجماعةُ؛ فقد روى البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢) قصة صلح الحديبية، وكان من نتائجه أن المسلمين يرجعون ولا يدخلون مكة عامهم ذاك، وفيها أن عمر بن الخطَّاب ﷺ قال: «فأتيت نبي الله ﷺ، فقلت: ألست نبي الله حقًّا؟

قال: بلى!.

قلت: ألسنا على الحقِّ وعدوُّنا على الباطل؟

قال: بلى!.

قلت: فلم نعطى الدَّنية في ديننا إذن؟

قال: إنِّي رسول الله، ولست أعصيه وهو ناصري.

قلت: أوليس كنت تحدِّثنا أنا سنأتي البيت فنطوفُ به.

قال: **بلى! فأخبرتك أنا نأتيه العام؟** قال: قلت: لا! قال: **فإنك** آتيه ومطوِّفٌ به.

قال: فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر! أليس هذا نبي الله حقًّا؟

قال: بلى!

قلت: ألسنا على الحقِّ وعدوُّنا على الباطل؟

قال: بلى!

قلت: فلم نعطى الدنية في ديننا إذن؟

قال: أيها الرجلُ! إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله! إنه على الحقِّ.

قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوفُ به؟

قال: بلى! أفأخبرك أنك تأتيه العام؟

قلت: لا!

قال: فإنك آتيه ومطوِّفٌ به.

قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً...».

وما حكاه الله في سورة الروم من الإخبار عن موعد انتصار الروم عند قوله ﷻ: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم:٣-٤]. لا يتنافى مع ما سبق؛ لأنه حديثٌ عن اقتتال كفار فيما بينهم، ثُمَّ هو خبر الكتاب المحفوظ، وليس هو نبوءات التوراة أو الإنجيل المحرَّفين!!

والأمر بالصبر يمكِّنُ النفس من أن تأخذ قسطها من الاستقامة وعبادة ربِّها؛ ولذلك أمر الله بكفِّ الأيدي عن القتال؛ ليتمَّ الانشغال التامُّ بتربية النفس على العبادات، والتمكين للإخلاص، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النساء:٧٧]. الآية، كما أمر النَّبي ﷺ باعتزال الفتنة

بين المسلمين، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«ستكون فتنٌ، القاعدُ فيها خير من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، من تشرَّف لَها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأ معاذًا أو فليعذ به»**. متفق عليه.

كما أمر ﷺ عندها بالاشتغال بالعبادة؛ لأنَّها تثبِّت الأفئدة وقتما تشتِّتها الفتنُ، فقال ﷺ: **«العبادة فِي الهرج كهجرة إليَّ»**. أخرجه مسلم.

والخوارج لَمْ تنفعهم عبادتُهم فِي الفتن؛ لأنَّهم كانوا مشاركين فيها، فتأمَّلْ.

فانظر كم بين المنهج النبوي والمنهج الحركي، الذي ليس له من هم سوى إثارة الشهوة الغضبية كما فِي عنوان بحث الدكتور سفر، دون نظر فِي فقه الجهاد من حيث تحكيمُ النصوص فِي ذلك، ودُون نظر فِي المآلات من حيثُ المصالح والمفاسد.

ثُمَّ إنه من الخداع بِمكان أن يحاول الدكتور سفرٌ حشر نفسه فِي الدَّعوة السلفية بالقوَّة وهي تقول له: دعني، كيف يصفو له ذلك وهو يترصَّد للسلفيين خُطاهم ويعدِّد لَهم أنفاسهم؛ ليرميهم بالإرجاء؟! فسلَّط الله عليه عدله، وجعل خطأه فِي جليِّ المسائل وأوضحها عند عامَّة الناس، فضلاً عن خاصَّتهم، كهذه المسألة، ويتحوَّلُ شيخُ العقيدة إلى مروِّج خُرافة، فتأمَّل حالك يا دكتور، واعلم أن التوفيق من الله، كما أن الخذلان منه، قال ﷻ: ﴿**قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ**﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وفِي "الإبانة/ الإيمان" لابن بطة (٤١٩/١) عن يحيى بن معاذ أنه قال: "إن ربنا تعالى أبدا شيئًا وأخفى أشياء، وإن المحفوظين بولاية الإيمان حفظوا ما أبدا وتركوا ما أخفى، وذهب آخرون يطلبون علم ما أخفى فهتكوا فهلكُوا، فأدَّاهم التركُ لأمره إلَى حدود الضلال، فكانوا زائغين".

ولئن كان السلفيون -الذين يحرص سفر على رميهم بالإرجاء- قد أخطئوا وما أخطئوا، فإن خطأهم فِي دقيق العلم، أما هو فقد جازاه الله بخلاف مقصوده، وأوقعه فِي جلي مسائل التوحيد، ولئن كان السلفيون أخطئوا فِي مسائل اختلف فيها، فقد وقع سفرٌ فيما لَمْ يختلف فيه، ومن حفر حَفرًا لأخيه، وقع فيه!

فنصيحتي لجميع من يبلغه هذا البيان ألا يعرِّضوا دينهم لأمثال هؤلاء؛ فعن معاوية بن الحكم السُّلمي ﷺ قال: «قلت: يا رسول الله! إنِّي حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالاً يأتون الكهَّان، قال: **فلا تأتهم!**». رواه مسلم.

وليكُن موقفهم ممن يحكى لَهم حكايات فارغة من الغيب موقف الشعبي -رحمه الله- من المختار المتكهِّن الكذَّاب، فقد ذكر الذهبي فِي "السير" (٣/ ٥٤٢) عن الشعبي أن المختار قال لَهم: "أبشروا؛ فإن شرطة الله قد حسُّوهم[١] بالسيوف بقرب نصيبين، فدخلنا المدائن، فوالله! إنَّه ليخطُبنا، إذ جاءته البشرى بالنصر، فقال: ألَم أبشِّركم بهذا؟ قالوا: بلى! فقال لي همدانيٌّ: أتؤمن الآن؟

قلت: بماذا؟

قال: بأن المختار يعلم الغيب؛ ألَم يقل لنا: إنَّهم هزموا؟

قلت: إنَّما زعم أن ذلك بنصيبين، وإنَّما وقع ذلك بالخازر من الموصل.

قال: والله! لا تؤمن -يا شعبيُّ!- حتَّى ترى العذاب الأليم!!".

وأقول أخيرًا: إن ما سطَّرتُه لك هنا -أخي القارئ!- من خطأ عقدي واضح لمن عاش بين أحضان أهلها، هو نتيجة حتميةٌ لمن لَمْ يقنع بما قنع به السلف، لاسيَّما والقوم يزْهَدون فِي العقيدة ويُزهِّدون؛ لاشتغالهم بالسِّياسة، فإذا اهتمُّوا بالعقيدة، لَمْ يكن اهتمامهم بها اهتمام صادق؛ لأنَّها عندهم غالبًا ليست

---

(١) أي قتلوهم: ومنه قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران:١٥٢].

إلا الاهتمام بِما يُكفِّرُ به الحكام!!

والخلاصة: أنه لا يجوز لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصدق هذا الرجل فيما أخبر به من الغيب فإنَّ الرسول ﷺ قد قال: **«من أتى كاهنًا أو عرَّافًا فصدقه بِما يقول فقد كفر بِما أنزل على مُحمَّدﷺ»**. رواه أحمد وهو صحيح.

ومن أراد بصدق العزة لأهل هذه الملة الحنيفية، فليعمل بالإسلام ظاهرًا وباطنًا، ولا يدخل فِي النتائج؛ فإنَّها من الغيب، والله أعلم بمن يستحق النصر ممن يستحق الخذلان، ووعد الله حقٌّ لا يُخلف، والله وحده ولي التوفيق، قال الله تعالى: **﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾** [الحج:٤٠].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

العـلامـة ابـن عـثيـميـن
يحذر من أشرطة سفر الحوالي

إن المطلع على دعوة الشيخ العلامة مُحمَّد بن صالح بن عثيمين -رحمه الله- ودعوة هؤلاء الشباب الذين مثلت لَهم بالدكتور المردُود عليه هنا، يدرك بلا أدنى كلفة الفرق الواضح بين الدعوتين، لكن قد حاول ذوو توجهات معينة دمج الدعوتين فِي إطار واحد!!

ولقد قلت فِي غير هذه المناسبة ولا أزال أقول: إن على من لا يزال فِي شك من ذلك أن ينظر فِي الدَّعوتين، وسيفهم الفرق -إن شاء الله-؛ وذلك:

• لأن علماء السنة يركّزون على التوحيد والسنة تنويهًا، وعلى الشرك والبدعة تنديدًا، فأين رباطُ الحركيين عند هذين الثغرين؟!

إنَّهم لا تغلُّ قلوبُهم على شيء مِمَّا عليه أهل السنة، ما تغلُّ على التوحيد والسنة، والله المستعان.

• وعلماء السنة يرون أن السياسة من الدِّين، ولكن لا يركزون عليها فِي الدعوة العامة للناس، مع أنَّهم أهلُها والقادرون عليها، فلِمَ خالفهم الحركيون هاهنا على بكرة أبيهم، مع أنَّهم ليسوا أهلها؟!

• وعلماء السنة يركّزون على بثّ العلم الشرعي، بدءًا بالتركيز على التوحيد والسنة كما سبق، وانتهاءًا بكلّ ما جاءت به الشريعة؛ لأنَّهم لا يتحاكمون إلَى غيرها، وأما الحركيون فهمتهم مصروفة إلَى تتبع ما قاله السياسي فلان والسياسي فلان، ويبثون ذلك فِي المجالس العامة، ويتكثرون به ليقال: إنَّهم أصحاب غيرة على الإسلام وأهله، ويعيشون محن الأمة ...!!

• وكما يوالي عُلماء السنة أهل التوحيد ويعادون أهل الكفر، فإنَّهم يُوالون

أهل السنة ويعادون أهل البدع، فأين براءةُ الحركيِّين من أهل البدع؟! بل بُرودَتُهم تجاههم لا ينكرها إلا مكابرٌ، فالبدعة تعربدُ بين أيديهم بلا إنكار، بل اخترعوا لأهلها قواعد وشدُّوا الإسار، ومن جاء ليكشف حالهم للأمة قالوا: غير منصف؛ لأنَّ للقوم حسنات لا يجوزُ كتمانُها، والقاعدة عندهم تقول: لابد من الموازنة بين حسنات المنتقد وسيئاته!! ومن جاء ليفضح مناهجهم، قالوا: ينشغل بزلات إخوانه المسلمين، ويسكتُ عن أعدائه العلمانيِّين!! ومن جعله الله على ثغر السنة يدفعُ عنها الخطوب، كادُوه بقاعدتِهم: الردودُ تقسِّي القلوب، وإنا لله!!

• وعلماء السنة يجتنبون الإثارة السياسية، ولاسيما عند العوامِّ، وأما الحركيون فلابدَّ عندهم من دغدغة العواطف الجماهيرية بِها، حَتَّى تغلب على دعوتِهم!

هذه بعض الفوارق الجوهرية بين الفرقتين، كيف يُحاول مُحاولون إقناعنا بأَنَّهم من طينة واحدة؟

إن من زعم منهم أنه على خطِّ الشيخين ابن باز وابن عثيمين -رحِمهما الله-، فقولوا له ولحزبه: أوجدتُم هذين الإمامين ينقلان للنَّاس مثالب الحُكَّام كما تفعلون أنتم؟!

ومن زعم منهم أنه على خطِّ الشيخ الألباني، فقولوا له: هل تقبل نصيحة الشيخ اليوم لك ولحزبك، حين قال: "أرى الآن من السياسة ترك السياسة"، هذه المقولة لَمْ يقبلها الحركيُّون ولن يقبلوها؛ لأنَّها تأتِي على بُنيانهم من القواعد فتنسفه، ولو تجرَّدت دعوتُهم عنها لما كان لَهم إلَى منبر المسجد حاجة، ولا كان لَهم عنده لحاجة، بل لو لَمْ يكن لَهم مجالٌ للحوم حول ما سموه "توحيد الحاكمية" لما كان لَهم على الحديث عن التوحيد مأربٌ، ألَم ترهم فِي موضوع السياسة كيف يرعدون ويُزبدوَن، وإن تبرَّعوا بِموضوع عقديٍّ كيف يبردون

ويقتصدون؟! كلامُهم فِي التَّنديد بالشرك رشٌّ خفيف، وكلام فِي السنة زهدٌ وتطفيف.

وبعد هذه الأوصاف السريعة للقوم: تزهيدٌ فِي العلوم الشريعة؛ لاسيما العقيدة والسنة، تعظيم لفقه الواقع، طعنٌ فِي العلماء الربانِّيين بزعم أنَّهم لا يفقهون الواقع أو أنَّهم يداهنون الطواغيت، ميوعةٌ مع أهل البدع وتَهوينٌ من شأنِهم، عملٌ حثيثٌ للخروج على الحكام، هل يتصورُ أحدٌ أن علماء أهل السنة -الممثل ببعضهم قريبًا- هم من هذا الطِّراز المسترذل؟! وهل يتصورُ أحدٌ أن القوم ينطلقون من أُصولُ هؤلاء العلماء؟!

أما بعد، فلقد صبر العلامة الفقيه مُحمَّد بن صالح بن عثيمين -رحِمه الله- علىٰ دعوة هؤلاء الشباب، وحاول تأليف قلوبِهم بالإحسان إليهم والنصيحة اللطيفة لَهم، وتغافل عن زلاَّتِهم مرارًا، واستعمل حسن الظنِّ معهم إلَى آخر ما يُمكن استعماله، فحسبوا ذلك كلَّه غفلة منه، وتوهَّموا أنَّهم قد استدرجوا العلماء ووصلوا بهم إلَى تزكية منهجهم الحركيِّ، وفِي كل يوم يُظهرون لَهم الموافقة بالقول، ثُمَّ يخالفونَهم بالعمل، ويمدحُونَهم علانية، ثُمَّ يسرُّون ذمَّهم؛ فهم عندهم أهل فتوى لا أهل فقه واقع، وعلماء حيض ونفاس، لا علماء جهاد ومصير أنفاس، وأصحاب فتاوى نظرية لا أصحاب "ميدان!"، وهكذا ...

لقد صبر الشيخ -رحِمه الله- عليهم طويلاً، إلَى أن أحسَّ بدنوِّ أجله، فرأى ضرورة بيان حالِهم لئلا يغتر بِهم من يغتر، وليُعذر إلَى ربه، ولاسيما أنه لَمْ يستفد من دماثة خلقه وسعة صدره إلا القليل وهم المخلصون منهم، فرجعوا عن غيِّهم، وعادوا إلَى وعيهم، فانتبهوا للفوارق الشاسعة بين دعوة الشيخ ودعوة أولئك، فبرأ ذمته -رحِمه الله- قبل وفاته بلهجة قوية؛ حيث سأله بعض الإخوة طلبة العلم من الجزائر عن فئات من الناس يكفرون الحكام من غير ضوابط وشروط؟!

فأجاب الشيخ -رحمه الله- بقوله: "هؤلاء الذين يكفرون؛ **هؤلاء ورثة** الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب ﷺ، والكافر من كفَّره الله ورسوله، وللتكفير شروط:

منها: الإرادة: أن نعم بأن هذا الحاكم خالف الحق وهو يعلمه، وأراد المخالفة.

ولَمْ يكن متأولاً: مثل: أن يسجد لصنم، وهو يدري أن السجود للصنم شرك، وسجد غير متأوِّل.

المهم: هذا له شروط، ولا يجوزُ التسرُّع فِي التكفير، كما لا يجوز التسرُّع فِي قولك: هذا حلالٌ، وهذا حرامٌ.

سؤال: وأيضًا يسمعون أشرطة سلمان بن فهد العودة وسفر الحوالي، هل ننصحهم بعدم سماع ذلك؟!!

الشيخ: -بارك الله فيك-، **الخير الذي فِي أشرطتهم موجودٌ فِي غيرها**، وأشرطتُهم عليها مؤاخذات، بعض أشرطتهم، ما هي كلُّها، ولا أقدرُ أميِّز لك -أنا- بين هذا وهذا!!

سؤال: إذن تنصحُنا بعدم سماع أشرطتهم؟

الشيخ: "لا! أنصحُك بأن تسمع أشرطة الشيخ ابن باز، أشرطة الشيخ الألباني، أشرطة العلماء المعروفين بالاعتدال، وعدم الثورة الفكرية.

سؤال: يا شيخ! وإن كان الخلافُ فِي هذه القضية -مثلاً- أنَّهم يكفِّرون الحكّام، ويقولون بأنه جهاد -مثلاً- فِي الجزائر، ويسمعون أشرطة سلمان وسفر الحوالي، فهل هذا الخلاف فرعيٌّ، أم هو خلافٌ فِي الأصول يا شيخ؟

الشيخ: لا! هذا خلاف عقديٌّ؛ لأن من أصول أهل السنة والجماعة أن لا نكفر أحدًا بذنب.

سؤال: هم -يا شيخ- لا يكفرون صاحب الكبيرة إلا الحكّام، يأتون

بالآية: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]. يكفرون الحكام فقط؟!!

الشيخ: هذه الآية فيها أثر عن ابن عباس أن المراد: الكفر الذي لا يُخرجُ من الملة؛ كما في قول النّبي ﷺ: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**».

وفي رأي لبعض المفسرين أنّها نزلت في أهل الكتاب؛ لأن السياق في ذلك: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾. منكم يا أهل الكتاب ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

قلت: انظر "تفسير ابن جرير الطبري" -رحمه الله- للآية.

ملاحظة: الكلام مفرَّغٌ من شريط سمعيٍّ عند تسجيلات ابن رجب بالمدينة، بعنوان: "أسئلة منهجية عبر الهاتف".



فهرس الموضوعات

الـمـوضـوع **الصفحة**

المركز الدولي I.P.C للطباعة
012/7930415
012/4179887